فانذرتكم نارا تلظى ١

محاضرة صوتية مفرغة

لفضيلة الشيخ

عبد الله بن عثمان الزماري حفظه الله

فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ١

محاضرة صوتية مفرغة

لفضيلة الشيخ

عبد الله بن عثمان الزماري حفظه الله

شبكة الإمام الآجُري

موقع علمي متخصص

في المتون العلمية وطلب العلم الشرعي

www.ajurry.com

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إن الحمد لله تعالىٰ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران: ١٠٢)

﴿أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾. (الأحزاب: ٧٠ - ٧١)

أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله تعالىٰ ، وخير الهدي هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، و شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، أعاذنا الله وإياكم من النار.

أيها المؤمنون جزىٰ الله المؤمنين المتكلمين خيرا، فكل واحد أدلىٰ بدلوه، وهكذا يجب أن ندافع عن الإسلام بما نستطيع من وسائل؛ فالشعراء يستطيع الواحد منهم أن يدافع ما استطاع عن الإسلام، فقد قال النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم لحسان "اهجهم وروح القدس معك"(1) فقد كان حسان رضي الله عنه يدافع عن النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم بشعره وقصائده، وهكذا كان الصحابة يدافعون بالشعر عن الإسلام، ويدافعون بالشعر عن النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، فمن أُعطي قدرة علىٰ هذا سخر ذلك في الدفاع عن الدين وتشييد الدين والدفاع عن عباد الله المؤمنين،

والدفاع عن العلم والحث علىٰ طلب العلم، فهذا يعتبر مساهمة في الدعوة إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، بل يعتبر نوعا من أنواع الجهاد في سبيل الله؛ الدعوة تعتبر جهادا في سبيل الله سبحانه وتعالىٰ، وهكذا الدعاة إلىٰ الله ويحدثون الناس ويعظونهم ويحذرونهم من المعاصي والذنوب ويحذرونهم من الفساد، ويحذرونهم من البدع والخرافات والشركيات ويحثونهم علىٰ فعل الخير ويحثونهم علىٰ المضي علىٰ الصراط المستقيم، هذا أيضا يعتبرون في جهاد في الله سبحانه وتعالىٰ.

أسأل الله أن يكتب أجر الجميع وأن يجعل مجلسنا هذا مثقلا لموازيننا يوم القيامة وأسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن ينفعنا بهذه المجالس وأن يجعلنا أول من يطبق ما يسمع.

إخوة الإيمان؛ إن الله سبحانه وتعالىٰ خلق و أمرنا بعبادته، وأمرنا بطاعته وأمرنا بالسير علىٰ شريعته ووعدنا إن نحن فعلنا ذلك جنة عرضها السماوات و الأرض وحذرنا من المعاصي والذنوب والمخالفات وتوعدنا إن نحن عصيناه وخالفنا أوامره بنار لا تبقي ولا تذر، لهذا الواجب علينا أن نحذر من الخطر، وأعظم خطر خطر النار، لأن النار دار الفجار ودار العصاة والجنة دار الأبرار، قال ربنا في كتابه الكريم:

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَىٰ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (الليل: ١٤-١٦)

فالرحمان أنذرنا عذابه، عندما بدأ النبي دعوته في قومه بعدما أنزل الله ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) قام إليهم وناداهم بطنا بطنا : "يا بني لؤىٰ ويا بني سعد بن لؤىٰ ويا بني هاشم ويا بني عبد المطلب ويا فاطمة بنت محمد أنجدوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا"(2)، الرسول يقول أنجدوا أنفسكم من النار.

هذه النار وعدها الله العصاة، وكن علىٰ حذر أيها المسلم الكريم؛ المعصية هي التي توصل صاحبها عذاب الله وتسبب دخول جهنم. ما أكثر الذنوب وما أكثر المعاصي التي ارتكبها المسلمون وهي كفيلة بل إحداها كفيلة أن تدخل صاحبها جهنم، فكونوا علىٰ حذر!

بين الله في كتابه الكريم شدة عذابه، من أجل ماذا؟ من أجل أن نحذر، ومن أجل أن نجتنب طريق الخطر، طريق النار، بين الله لنا أحوال أهل النار حتىٰ لا نسلك الطريق الذي سلكوه، ولا نعمل الأعمال التي عملوها، يقول الله تعالىٰ: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾(الليل: ١٤-١٦) ولهذا قال: الأشقىٰ، فلا يدخل للنار إلا شقي، عياذا بالله رب العالمين.

قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحريم: ٦) الخطاب لمن؟ للمؤمنين، هذا دليل علىٰ أن كثيرا من المؤمنين سيدخلون النار، بسبب الذنوب والمعاصي. جاء في البخاري أن رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم قال:"بينا أنا عند حوضي إذ قامت طائفة من أمتي حتىٰ إذا عرفتهم قام من بيني و بينهم رجل فيقول:هلم فأقول : إلىٰ أين؟ فيقول إلىٰ النار والله.ثم بينا أنا كذلك قامت طائفة أخرىٰ حتىٰ إذا عرفتهم قام من بيني و بينهم رجل، فيقول لهم: هلم، فأقول: إلىٰ أين؟ فيقول: إلىٰ النار والله. -هؤلاء من المسلمين، ثم بعد ذلك يقول النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم-: فما أظنه ينجوا -أي من النار- إلا كهملة النعم"(3)، أتدري ما هملة النعم؟ أين أهمل الراعي من النعم، قلة قليلة الذي ينجو من المسلمين من عذاب الله رب العالمين، لا غرابة، ها أنت تجد في الأمة من يأكل الربا، والله يقول في كتابه الكريم:﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَىٰ اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة:٢٧٥).الله يقول: "هم فيها خالدون" هم المسلمون، أكلوا الربا.

وأنت تجد من المسلمين من يأكل أموال اليتامىٰ، والله يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء : ١٠)

هاأنت تجد أيها المسلم الكريم من يقطع الطريق عن المسلمين، وربما يقتل بعض المسلمين والله يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٣) في الآخرة عذاب عظيم..

أنت تجد من المسلمين أيضا، من المسلمين ممن يقول لا إله إلا الله، من لا يحافظ علىٰ الصلاة في أوقاتها، والله يقول في كتابه الكريم: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾(مريم:٥٩) غي: واد من وديان النار كما فسر ذلك ابن العباس وغيره، وقال ربنا: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾(الماعون: ٤-٥)أي الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها أو يقدمونها علىٰ وقتها، يقول ابن عباس في تفسير هذه السورة قال: ويل: واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره، هذا لمن؟ للمتهاونين في الصلاة.

تجد من المسلمين من يقع في البدع والنبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يقول:"إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتىٰ يدع بدعته" (4) ويقول: "وإياكم ومحدثات

الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار "(5) أي صاحبها في نار جهنم، عياذا بالله رب العالمين.

وُجِد من المسلمين من يقع في الشرك عياذا بالله، والله يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٤٨) ويقول ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾(الحج:٣١) ويقول الله في كتابه الكريم ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(المائدة: ٧٢).

وُجد في صفوف المسلمين من يأكل أموال الناس بالباطل، والله يقول في كتابه الكريم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرًا﴾ (النساء: ٢٩-٣٠)فانتبه أيها المسلم الكريم..

وُجد في صفوف المسلمين من يأكل أموال الناس بالباطل وفي ظروف متعددة، والنبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يقول: "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله عليه النار، وحرم عليه الجنة وقالوا إن شيئا يسيرا، قال : وإن قضيبا من أراك "(6) فكم نرىٰ وكم نسمع ممن يأكل حق أخيه المسلم ثم يحلف أنه ليس بملكه وأنه ما أخذه.

انظروا إلىٰ أحوال المسلمين؛ وكم تُعدد من ذنوب، وكم تُعدد من معاصي وكم تُعدد من بلايا؛ ومن البلايا المسببة لدخول النار اختلاف المسلمين إلىٰ مذاهب وإلىٰ أحزاب متفرقة، قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٠٥) وقال ربنا في كتابه

الكريم:﴿ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (هود: ١١٨-١١٩) أي لأملأن من المتفرقين والمتمزقين جهنم، الذين لا يسيرون علىٰ الطريق السوي.

وما أكثر الأدلة المبينة علىٰ من فعل الذنوب والمعاصي أن ذلك يقضي به إلىٰ نار جهنم، عياذا بالله رب العالمين، يكفي ما قاله ربنا في كتابه الكريم ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة: ٧-٨)

إخوه الإيمان؛ هذه النار التي حذرنا رب العالمين منها ليست دار سلام ولا راحة لا !! هي والله دار النكد ودار الشقاء ودار الآلام ودار العذاب المستمر الذي لا ينقطع، فمن دخلها فقد خسر كل شيء، وما بقي معه شيء، قال ربنا في كتابه الكريم:﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ. لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ (الزمر: ١٥-١٦). يُحذر الله المؤمنين من ارتكاب الذنوب، الآية الأولىٰ قال الله :"يا أيها الذين أمنوا قوا أنفسكم" أي جنبوا نفسكم، "قوا أنفسكم وأهليكم" جنب نفسك وأهلك من عذاب النار، النار..النار! انظر إلىٰ أحوال أهلها وهم يتدرجون في مداخل الآخرة، فأهل النار إذا نزل بهم الموت وإذا نزل بساحتهم و هم يعرفون مالهم عند الله و يعرفون أعمالهم يندمون ويتمنون البقاء في الدنيا لتصحيح العمل، قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ

ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ. وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ. وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المنافقون: ٩-١١) انظر شدة الندم عند أن ينزل الموت بالغافلين وعند أن ينزل الموت بالعصاة، كيف يسألون الله أن يبقيهم في الدنيا لتصحيح العمل، لكن قد فاتت الفرصة، وانظر بعد الموت إلىٰ أحوال العصاة بعد أن يشاهدوا ما أعد الله لهم، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ (المؤمنون: ٩٩-١٠٠). الحسرة ستكون والندم سيحدث، لكن هذا لا ينفع لأنه ندم في الموضع الذي لا ينفع فيه الندم ولهذا قال الله:﴿كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(المؤمنون: ١٠٠) ما أشد الندم علىٰ العاصي عند أن ينزل القبر وعند أن يشاهد أعماله، وعند أن يشاهد وعند أن يرىٰ مصيره في المراحل البرزخية، ما أشدها علىٰ قلبه، عند أن يصبح في قبضة الملكين وعند أن يصبح مسجونا في القبر المظلم، يالها من شدة! انظر إلىٰ حالته عندما يقوم من القبر وعند أن يعاين فضاعة يوم القيامة، يشتد خوفه ويشتد رعبه عند أن يشاهد الموقف، قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (الزمر: ٦٨) وقال ربنا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ (يس: ٥١-٥٢)يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا! لماذا يقولون يا

ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ لأنهم يشاهدون ما في ساحة الحساب أشد من العذاب الذي كانوا فيه لهذا أصبح عذاب القبر عندهم مرقدا هنيئا مقابل العذاب الذي يشاهدون في ساحة الحساب، جعلوه مرقدا، مع أنه كانوا يُقلبون في القبر في الليل والنهار، في النار في الليل والنهار، لكن عندما عاينوا فضاعة القيامة أصبح عذاب القبر أسهل، يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا؟! فيقول لهم العلماء المؤمنون الخُلص الصالحون : ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾(يس: ٥٢) انظرإلىٰ أحوالهم! عند أن يشاهدوا ساحة الحساب وقد مُلئت بالأهوال وقد وقفوا أمام الرحمان يتذكرون الماضي المؤلم حين كانوا يضيعون الأعمال الصالحة ويعملون الأعمال الفاسدة، يتذكرون أيام الشهوات والملذات، وإذا تصبح عندهم ما كأنها إلا ساعة، قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ (الروم: ٥٥) يحلفون أنهم ما عاشوا في الحياة الدنيا إلا ساعة واحدة، لماذا؟ لشدة الهول ولطول يوم القيامة، ولما يشاهدون من أهوال فضيعة حتىٰ طارت الألباب، ففي هذا الموقف ومن شدة الأهوال ومن شدة الرعب والخوف ترتفع قلوب العصاة، حتىٰ تبلغ إلىٰ الحناجر فلا هي تخرج ولا هي تعود إلىٰ مكانها، قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَىٰ الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر: ١٨) بلغت القلوب إلىٰ الحناجر من شدة الرعب والهول والخوف، ومن شدة العذاب صعدت حتىٰ وصلت إلىٰ الحنجرة، ثم ماذا؟ ثم لم تستطيع أن تعود ولا أن تخرج، وأصبحت القلوب فارغة

من شدة الهول، أصبحت القلوب لا تحفظ شيئا، قال ربنا في كتابه الكريم:﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ﴾ (المؤمنون: ١١٢-١١٣) إسأل الحاسبين أما نحن اليوم أصبحنا لا نذكر شيئا، من شدة الخوف أصبحت قلوبهم فارغة لا تحفظ شيئا كما قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء﴾ (إبراهيم: ٤٢-٤٣) انظر إلىٰ المنظر الفضيع، وإذا بأبصار الخلائق مشدودة ولا يستطيعون أن يحركوها وأفئدتهم فارغة لا تحفظ شيئا، تشخص فيه الأبصار؛ تصبح فيه الأبصار شاخصة إلىٰ السماء منتظرة فصل القضاء فيها، منتظرة قضاء الله، والقلوب فارغة لا تحفظ شيئا وأفئدتهم هواء، هذا يدل علىٰ شدة الخوف وعلىٰ شدة الرعب الذي ينزل علىٰ العصاة، كيف لا.. وها هي جهنم قد برزة للخلائق وهم ينظرون إليها جميعا؛ بين الله في كتابه الكريم أن جهنم تبرز يوم القيامة أمام الخلائق، قال ربنا في كتابه الكريم﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾(الشعراء: ٩١) وقال ربنا في كتابه الكريم ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ (الفجر: ٢٣) وقال ربنا في كتابه الكريم: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾(النازعات: ٣٤) الطامة؛ التي تطم الخلائق كلها وتجمع الكل، تجمع جميع الخلائق، فالجن يحضرون والإنس يحضرون والملائكة تحضر والحيوانات تحضر والطيور وجميع المخلوقات

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ (النازعات: ٣٦-٣٤)

جاء في صحيح مسلم من حديث مسعود رضي الله عنه:قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: "يُجَاءُ يوم القيامة بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها"(7) في كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، في هذا الموقف لا يبقىٰ ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جفا علىٰ ركبتيه من الخوف ومن الرعب، ذكر العلماء أن هذا الموقف يقول الأنبياء فيه، يقول كل رسول: نفسي، نفسي، نفسي.. حتىٰ قالوا أن عيسي عليه الصلاة والسلام يقول: "نفسي، نفسي اللهم إني لا أسألك اليوم إلا نفسي، لا أسألك مريم التي ولدتني"، من شدة الهول.. تذكر هذا الموقف إذا كان الرسل وإذا كان الأنبياء وإذا كان ملائكة الرحمان المقربون يجفون علىٰ الركب من هول النار ومن هول الموقف، فما بالك بي وبك ونحن العصاة؟ كيف أحوالنا في ذلك الموقف؟! ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾(الفجر: ٢٣) هل تنفع الحسرات؟! لا..لا تنفع الحسرات. تذكر أخا الإيمان عند أن تشاهد جهنم بل عندما ترىٰ النار الناس إذا برزت لولا أن الله يحبسها لالتهمت أهل الموقف، قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (الفرقان: ١٢)، ذكر العلماء أن جهنم إذا جيء بها في ساحة الحساب تنظر إلىٰ المجرمين فتتغيظ وتزفر، تريد أن تقضي علىٰ الجميع، "سمعوا لها تغيظ وزفيرا" أرأيت العدو القوي الذي وجد من

أساء إليه وبعد طلب طويل، كيف إذا تمكن منه كيف يبطش به؟ فجهنم أعطاها الرحمان هذا الإحساس، إذا رأت المجرمين تكاد أن تزفر علىٰ أهل الموقف إلا أن الله يحبسها، إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفير، كأنها تتوعدهم، وتقول لهم: أنتم ستصلون إلي وستعرفون ماذا سيحصل لكم في بطني من عذاب أليم.

وتذَكَّر حال العصاة عند أن يشاهدوا الموقف وعند أن ينظروا إلىٰ الأهوال، تشتد حسراتهم و يحاول كل واحد منهم أن يتخلص من ذنوبه وأن ينكر وأن يجحد ما كان يفعل﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٢٣) المشركون يحلفون بالله ما كانوا مشركين، من شدة الخوف ومن شدة الرعب ثم يحاولون أن يلصقوا الذنوب بغيرهم وأن يُحملوا المسؤولية غيرهم، قال ربنا في كتابه الكريم:﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ. وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سبأ: ٣١-٣٣)، يحاول كل واحد منهم أن يتخلص من المسؤولية، ولهذا انظر الرحمان يسألهم وهم علىٰ شرفير النار والنار بين أيديهم، قال ربنا في كتابه الكريم:﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(الأنعام: ٢٧)، لا اله إلا الله.. انظر إلىٰ اليهود والنصارىٰ وجميع العصاة كيف يلمزون المؤمنين ويشتمونهم ويسبونهم ويطعنون فيهم، فيأتي اليوم الذي يتمنىٰ كل صليبي وكل يهودي وكل مجوسي وكل هندوسي وكل مشرك أن يكون من المؤمنين "ولو ترىٰ إذا وقفوا علىٰ النار فقالوا يا ليتنا نرد "إلىٰ الدنيا من أجل الأعمال الصالحة لأنهم يعلمون أن العمل الصالح لا يُقبل إلا من الدنيا "يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين" هذه الأمنية في مواطن لا ينفع فيه التمني.

عند أن يأمر الرحمان دخول جماهير العصاة في جهنم، العاصي عند أن يشعر بالخطر يتمنىٰ أن يفدي نفسه من هذا العذاب، لكن بماذا يفدي نفسه؟ ولا يملك شيئ.. إنه عاري الجسد، حافي القدمين، مكشوف الرأس، وبماذا يفدي نفسه؟ يتمنىٰ أن يفتدي، قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ﴾ (آل عمران: ٩١)، لو حاول كل عاصٍ أن يفدي نفسه لا يقبل الله منه، مع أنه لا يملك شيء، لو أنه يملك ملئ الأرض من الذهب لقال: يا رب خذ هذا فداءً عن نفسي، انظر إلىٰ سخافة المسلمين.. ربما يقتل بعضهم بعضا علىٰ أتفه الأسباب علىٰ أقل القليل، علىٰ شيء يسير.. ها هو العاصي يوم القيامة لو كان ملئ الأرض من الذهب لقال يا رب خذ هذا فداء عن نفسي. قال ربنا في كتابه الكريم﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ﴾(يونس: ٥٤) لو أن لكل نفس ظالمة مثل الأرض لقالت: يا رب خذ هذا المُلك فداء عن نفسي لكن هي لا تملك شيء، بل

يتمنىٰ العاصي أن يقدم أقرب الناس إليه ليفتدي به من العذاب، وهذا يدلك علىٰ شدة العذاب، قال الله: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾ (المعارج: ١١) لا إله إلا الله.. ما أشد الموقف.. تخيل! تخيل نفسك وأنت في الدنيا، تخيل هل ستقبل أن تقدم أبناءك فداء عن نفسك وأن تقدم الأخ والزوجة والأسرة! لا! ربما قلت أنا أفديهم جميعا بنفسي في الدنيا، أما في ذلك الموطن لا..الأمر خطير..جهنم! جهنم لا تبقي ولا تذر، يود المجرم أن يفتدي من أعماق قلبه، قد يتكلم الإنسان بلسانه وقلبه لا يريد هذا، أما هذا لا! يتمنىٰ من أعماق القلب لو يفتدي من هذا العذاب بالأبناء ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ. وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ. وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ (المعارج: ١٤-١١) وكأنه يقول: يا رب أتمنىٰ فداء عن نفسي أبنائي وفلذات كبدي، الصغار والكبار، خذهم أدخلهم في النار، عذبهم ونجيني أنا، الله لا يقبل، إذن خذ زوجتي التي عشت معها دهرا طويلا أحبها وتحبني أدخلها النار ونجني أنا، الله لا يقبل، إذن خذ أخي خذ إخوتي الذين طالما دافعوا عني ووقفوا معي في المواقف الصعبة، خذهم وأدخلهم النار، الله لا يقبل، إذن خذ كل العشيرة، صغارهم وكبارهم رجالهم ونساءهم، أدخلهم فداء عن نفسي، الله لا يقبل، إذن خذ أهل الأرض جميعا واجعلهم فداء عن نفسي ﴿كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ. نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ﴾ (المعارج: ١٥-١٦) لظىٰ نزاعة للشوىٰ أي تحرق الأطراف الناعمة، الشوىٰ الجلود والأطراف الناعمة تحرقها النار، تخيل إذا جاء قرار الرحمان بدخول العاصي إلىٰ النار، كيف يفعل؟

أبواب النار مُفتحة لا تحتاج أ ن يفتحها أحد، قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ. قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَىٰ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾(الزمر: ٧١-٧٢) ادخلوا، تدخل زمرهم ووفودهم زمرة بعد زمرة، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ وَفْدًا. وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم: ٨٥-٨٦)، يتساقطون.. فتدخل تلك الوفود وجهنم تلتقيهم وتستقبلهم، لا تبقي ولا تذر، وكلما جاءت الأعداد الكبيرة وكلما قالت جهنم هل من مزيد؟ أي زدني يا رب ما زلت محتاجة ولا زال في سعتي، هل من مزيد؟ و الوفود تدخل..

"الرحمان يقول لآدم عليه الصلاة والسلام يوم القيامة: يا آدم- وآدم عليه الصلاة والسلام ينظر إلىٰ الذرية وقد برزت- الله يقول يا آدم، فيقول:"لبيك وسعديك والخير كله في يديك"، ويقول أخرِج بعث النار، فيقول: فما بعث النار يا رب ؟ فيقول: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ"(8) كلهم في النار، ويرىٰ آدم ذريته تتساقط في النار.. و يال تلك الحسرة! تذكر هذا، تذكر يا أخي، النظر إلىٰ الحنان الذي في قلبك لو رأيت طفلا من أطفالك قد اشتد عليه المرض، فكيف تكون رحمتك به؟ فكيف لو رأيت أطفالك يتساقطون في النار وأنت تنظر لا تستطيع أن تفعل لهم شيئا، كيف تكون رحمتك بهم ؟ تخيل هذا الموقف، وكيف بآدم عند أن ينظر إلىٰ ذريته وقد خرج من كل

ألف تسع مائة وتسعة وتسعون يتهاوون في النار ويتساقطون في النار، وهو لا يملك لهم حولا ولا قوة، لا يملك إلا الحزن، استسلام لقضاء الله..إنها الذنوب! إجتاحت الخلائق، إجتاحتهم ذنوبهم. فيدخل أهل النار حتىٰ لا يبقىٰ أحد من الكفار إلا المسلمون ومعهم غُبر من أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، يتأخر المسلمون وبعض اليهود والنصارىٰ، وهنا بعد أن دخل عدد الكافرين في النار وأصبحت النار تشويهم، يقول الله لليهود: ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزيزا بن الله، قال: كذبتم ما اكتسب الله من ولد، ماذا تريدون؟ –ما تبغون أي ما تشتهون اليوم؟– قالوا عطشنا ربنا فاسقينا، عطشنا! – خمسين ألف سنة ما شربوا فيها شيء..يا له من عطش! وهم تحت وطأة الشمس، والعرق يتصبب والحر والكرب فهم في أمس الحاجة إلىٰ شربة ماء تطفىٰء لهيب الظمأ، الله يسألهم: ما هو الشيء الذي يحبونه في تلك اللحظة ويريدونه، ماذا تبغون؟ – قالوا: عطشنا ربنا فاسقينا فيقول لهم فتتخيل لهم جهنم كأنها سراب فينطلقون ليشربوا فيتساقطون فيها، سبحان الله..كانوا بحاجة إلىٰ شربة ماء وإذا بهم يسقطون فيما هو أشد، تخيل هذا الموقف شربة ماء لا يجدونها خمسين ألف سنة، يتساقطون فيما هو أعظم وأشد، فيقول الله للنصارىٰ: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عيسىٰ ابن الله، قال: كذبتم ما اتخذ الله من ولد، ما تبغون؟ –أي ما الذي تشتهون اليوم؟– قالوا:عطشنا ربنا فاسقينا، انظر.. من يسقيهم في ذلك اليوم؟ من يسقيهم شربة ماء؟ لا يجدونها..عطشنا ربنا فاسقينا فتتخيل لهم جهنم كأنها سراب فيتساقطون فيها..

سبحان الله! فيبقىٰ المسلمون وفيهم المنافقون، يتجلىٰ لهم الرحمان، يقول لماذا لا تلتحقون بالأمة؟ فيقولون ربنا فارقناهم أحْوج ما كنا إليهم، فيكشف الرحمان عن ساقه فلا يبقىٰ عبد كان يسجد لله في الدنيا عن رضىٰ إلا سجد، ويذهب المنافقون يسجدون فتتصلب ظهورهم طبقا واحدا فيرجعون علىٰ الخلف يتساقطون. ثم يُنصب الصراط علىٰ متن جهنم، المسلمون ينظرون إلىٰ الكفار يتساقطون في النار من شفيرها، النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يقول:"يُلقىٰ الحجر في النار الذي يزن سبعة خلفات – الصخرة الكبيرة تزن سبع جمال كبار– فتبقىٰ تهوي في النار سبعين خريفا لا تدرك لها قعرا"(9) سبعين سنة لا تصل إلىٰ قعرها. فهنا ينصب الصراط، والصراط جسر من شفير جهنم من قِبل الساحة، ساحة الحساب إلىٰ الشفير الثاني من جهة الجنة، والمسلمون ليس لهم طريق إلا هذا يصلون به إلىٰ الجنة، ما لهم طريق إلا هذا، ومن هنا تتجه جماهير المسلمين للعبور علىٰ الصراط وكلهم يريد الوصول إلىٰ الجنة، والصراط كما يقول أبو سعيد الخدري: **"أدق من الشعرة وأحد من ذبابة السيف"** هذا علىٰ حد قوله، وهكذا ذكر بعض العلماء أن إرتفاعه مسافة ثلاثة ألف سنة واستواؤه مسافة ثلاثة ألف وهبوطه مسافة ثلاثة ألف ولا غرابة، فجهنم واسعة وواسعة جدا، وهم يريدون أن يعبروا علىٰ هذا الصراط، ليس لهم الوصول إلىٰ الجنة إلا من هذا، فعندها يبدأ العبور وتبدأ تتحرك والخوف والرعب في الأمة، حتىٰ يقول النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم: "لا يتكلم يومها أحد إلا الأنبياء وكلام الأنبياء يومها: رب سلم، سلم"(10) فإذا

بدأت جماهير المسلمين تعبر فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطير، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كسقوط النجم، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل، ومنهم من يمر كشد الرجال، ومنهم من يحبوا حبوا، ومنهم من يسقط في النار، يقول النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم:"يتقادع بهم جَنبَتَا الصراط كتقادع الفراش" (11) أي ما يشعر الإنسان إلا والرجال تتهاوىٰ والنساء تتهاوىٰ من الصراط إلىٰ النار، وهو ينظر والناس من حوله من يمينه ويساره يتساقطون في النار ويشعر وهم يهوون تلك الهاوية الشاقة.

تخيل يا أخي إذا سقطت وتخيل إذا زلقت قدمك، تتخيل عند أن تنزلك القدم من الصراط ويهوي كم سيبقىٰ يهوي؟ ارتفاع الصراط مسافة ثلاثة آلف سنة، شفير جهنم ما يصل إلىٰ قعرها إلا بعد سبعين سنة، فكم سيهوي؟ وكم سيقطع من مسافة؟ وهو يهوي وحرارة النار تشويه وهو في الجوف، حرارة النار تشويه ودخانها يشويه وهو في جهنم، انظر هذا الموقف..

وهناك الكثير من المسلمين يتساقطون بسبب الذنوب و المعاصي، لأن المعاصي تتحول إلىٰ كلاليب علىٰ الصراط فتخطفهم إلىٰ النار، ولا ينجوا إلا من رحم الله.

انظر إلىٰ أحوال أهل النار، إذا دخلوها وجدوا ثيابا جاهزة من جهنم مفصلة، ثياب جاهزة! قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ (الحج: ١٩) ثياب من نار! ملازمة للجسد لا تفارقها، كيف يستطيع أن يتخلص من هذا العذاب؟ أنىٰ له أن يصعد إلىٰ شفير جهنم مسافة سبعين

ألف سنة، كيف يتخلص؟ تخيل هذا الموقف، تخيل والله يقول "قُطعت لهم ثياب من نار" سبحان الله! وما أن يدخل إلا والبدلة، بدلة الشقاء وحُلة الشقاء والبلاء، ثياب النار ثياب العذاب المستمر جاهزة يرتديها، ولم يقف الأمر عند ذلك ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ. يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ (الحج: ١٩-٢٠)، إذا نزل الحميم علىٰ الجمجمة أذاب الجماجم، ونزل عبر الحنجرة ونزل إلىٰ الأمعاء فصهر الأمعاء وأذابها حتىٰ خرج من القدمين، يقول النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم:يصب من فوق رؤوسهم الحميم حتىٰ ينزل إلىٰ البطون فيصهرها، بل وذلك الصهر، قال حتىٰ يخرج من القدمين، سبحان الله! من يطيق هذا يا إخوة؟! من يقدر علىٰ هذا؟! ولم يقف الأمر عند ذلك فها هي الأمعاء تصهر وتذوب، وهاهو الجلد كذلك، ولهذا قال: يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ؛ أي يفيض الحميم إلىٰ الجلد فيسلخ الجلد حتىٰ ينزل جلد العبد إلىٰ قدميه، فيمشي في النار وهو يسحبه خلفه، من يقدر علىٰ هذا؟! كيف لو رأينا هذا المنظر؟ لو رأيناه مجرد النظر ممكن ما نستطيع أن نعيش، نموت من الرعب والهول، فكيف لو كنا منهم، عياذا بالله، انظر إلىٰ هذا الموقف! يتمنىٰ الواحد منهم الموت، ولا موت! ولهذا يشتد عليهم الظمأ، الظمأ في النار، تخيل يا أخي قد مرت عليهم الآلاف من السنين وهم ما شربوا شربة ماء، والعذاب.. وقفوا في ساحة الحساب خمسين ألف سنة والعرق يتصبب حتىٰ جفت أجسامهم من نزول العرق وتقطعت حناجرهم من الظمأ ثم انتقلوا بعدها مباشرة إلىٰ

جهنم، إلىٰ عذاب الله، فإذا دخلوا، انظر إلىٰ أحوالهم وإلىٰ ما هم عليه يتمنون ويسألون الله من شدة الظمأ ويتضرعون بين يديه أن يسقيهم شربة، ويسألون المؤمنين تارة وقال الذين في النار: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ (الأعراف: ٥٠)، شربة ماء.. يا أهل الجنة ارحمونا؛ تقطعت أمعاؤنا، يا أهل الجنة تقطعت حناجرنا، ارحمونا ولو بشربة ماء، حتىٰ من ماء البحر لا يجدونه، يتمنوا أن يشربوا ولو من ماء البحر ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوا إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَىٰ الْكَافِرِينَ﴾(الأعراف: ٥٠)، تحريم قدري لا يمكن أن يشرب الواحد منهم شربة ماء، يستغيثون بالله أن يسقيهم ويتضرعون بين يديه، يتضرعون بين يدي الله ليسقيهم فتأتيهم السقيىٰ، لكن من أي نوع؟ قال ربنا في كتابه الكريم ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: ٢٩)، من شدة الظمأ الذي قطع الحناجر وألهب الأمعاء تأتيهم الملائكة بماء في شدة الحرارة وفي غاية من الحرارة، فإذا وصلوا بها لا يتوارىٰ أحدهم حتىٰ يتقدم ليشرب لكن ما إن يشرب إلا وسبقت فروة وجهه إلىٰ الماء قبل أن يشرب، من حرارة الماء تسقط بشرة الوجه إلىٰ الماء، وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا.

أيها الأخ الكريم؛ من يستطيع أن يتحمل هذا العذاب؟ بل إن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم يبين لنا نوعا من العذاب ربما غفلنا عنه، يقول كما عند الترميذي وغيره، من حديث عبد الله بن الحارث الزبيدي رضي الله عنه أن النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم قال: "إن في النار حَيَّاتٍ كأعناق الْبُخْتِ -حيات كرقبة الجمال الضخمة- تلسع أحدهم اللسعة فتظل حرارتها سبعين سنة -سبعين سنة! انظر وهو في النار يشعر بحرارتها سبعين سنة وهو يلتهب من لسعة الحية الواحدة- وإن في النار عقارب كَالْبِغَالِ الْمُوكَفَةِ -كالبغال الضخمة- قال تلسع اللسعة تظل حُمُوَّتهَا -أي حرارة الحمىٰ فيها- أربعين خريفا"(12) وهو يصيح ويتألم أربعين سنة من لسعة واحدة، انظر إلىٰ أحوالهم.

فلا تظن أن جهنم دار راحة، كن علىٰ حذر يا أخي إن انتبه من العمل السيئ، انتبه من الذنوب، انتبه من المعاصي، المعاصي هي التي تسبب الشقاء في الدنيا والآخرة، كن علىٰ حذر من المعاصي والذنوب، كن علىٰ حذر مما يخالف شرع الله، حاول أن تدرس دينك دراسة متقنة، وأن تكون علىٰ هدىٰ، لا تغتر بأحد ولا تقلد أحدا، وإنما انظر إلىٰ ما في كتاب الله وإلىٰ ما في سنة رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، انظر إلىٰ أهل النار وهم يتمنون راحة ساعة، ولا ساعة!

قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ

حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٧-٤٨) فهناك يلجؤون إلىٰ خزنة النار لعلهم يجدون راحة ولعل يجدون منهم شفاعة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾(غافر: ٤٩) يوم واحد، نريد يوما واحدا، نريد يوم من أيام الدنيا ولو يوم واحد!! ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ، يا خزنة النار صهرت أمعاؤنا الحميم وأثقلنا الحديد وآذانا الصديد، فنحن في الليل والنهار في عذاب شديد.. ألا تشفعون لنا إلىٰ الله أن يريحنا ولو يوما واحد؟!! يوما واحدا نرتاح فيه.. ﴿قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ (غافر: ٥٠) ولا راحة، ولا يوم واحد ولا ساعة.. بل لا تجدون منا إلا زيادة العذاب ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا﴾ (النبأ: ٣٠)، ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ (الحج:٢٢).

هذه حياة أهل النار..من يطيقها أمة محمد؟! ولا تظن أنك في مأمن من عذاب الله، لا! لا تظن أنك في مأمن من عذاب الله! رسول الله كان يخاف النار ويستعيذ بالله منها في كل صلاة، وهو رسول الله.أصحاب رسول الله كانوا يخافون النار وهم يعملون تلك الأعمال العظيمة، وما أمنوا من النار أبدا، ما أمنوا! أبو بكر كان إذا صلىٰ بالناس لا يُسمع الناس القراءة من كثرة بكائه خوفا من عذاب الله رب العالمين، وهو مبشر بالجنة.عمر رضي الله عنه خطت الدموع في خديه خطين أسودين لكثرة البكاء الذي كان يبكي من خشية الله ومن خوف الله.. ما أمن من عذاب الله رب العالمين.عثمان بن

عفان كان يقوم معظم الليل يبكي وهو الذي بشره الرسول بالجنة عدة مرات، وأنفق أمواله في سبيل الله وجاهد وعمل الأعمال العظيمة. علي رضي الله عنه وأرضاه كان يبيت طول ليله يصلي ويبكي وتنزل دموعه تبل لحيته وتبل ثيابه خوفا من عذاب الله، وهو يقول: **"آه من قلة الزاد وطول السفر"** يقول آه من قلة الزاد؛ أي قلة الأعمال، وطول السفر؛ أي من طول مراحل الآخرة، يتوجع ويئن من هذا، رضي الله عنهم وأرضاهم. انظر إلىٰ أحوالهم كيف كانوا يخافون الله، ومع ذلك أيها الأخ الكريم كانت أعمالهم عظيمة ومع ذلك يخافون من عذاب الله. بل هذا جبريل عليه السلام والملائكة معصومون من الذنوب، يقول النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم: "رأيت جبريل كالحلس البالي من خشية الله"(13) ويقول الرسول قلت لجبريل: "يا جبريل مالي لا أرىٰ ميكائيل ضاحكا، قال: ما ضحك ميكائيل منذ خلق الله النار"(14) ونحن نضحك بملىٰء أفواهنا والنار خُلقت لنا.. نضحك..مسرورون ! ميكائيل ملك معصوم، ما ضحك منذ خلق الله النار، صدق الرسول، يقول رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم:" والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء علىٰ الفرش، ولخرجتم إلىٰ الصعدات تجأرون الىٰ الله"(15)؛ لخرجتم إلىٰ الطرق تتضرعون بين أيدي الله.. عذاب! ملائكة الرحمان تخاف من العذاب وهم معصومون من الذنوب والمعاصي ونحن الذين توعد الله أن يملأ النار منا من الجنة والناس أجمعين أصبحنا في مأمن.. ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (السجدة: ١٣).

أمة الإسلام؛ عودوا إلىٰ الله، الحياة موسم خير، موسم أعمال صالحة، باستطاعة المؤمن أن ينال درجات عالية في الجنة بهذه الحياة، أنتم تعيشون في هذه الأيام في شهر الله المحرم وشهر الله المحرم الصيام فيه أفضل من الصيام في سائر العام إلا في رمضان، كما قال النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم: "وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم"(16)، أنتم تعيشون أيام الشتاء الصيام فيها سهل والقيام فيما ميسر، والنبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم يقول:"الصيام في الشتاء الغنيمة الباردة"(17) فحاول أن تكثر من الصيام في هذه الأيام، الليل طويل حاول أن تكثر من قيام الليل وأن تصلي ما استطعت من الليل من أجل أن يرفع الله لك الدرجات، وينجيك من عذابه سبحانه وتعالىٰ.

حاولوا أن تنقذوا أنفسكم من عذاب الله بالأعمال الصالحة، سابقوا إلىٰ جنة عرضها السموات والأرض، وتأسوا بسلف هذه الأمة وتأسوا بنبيكم محمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم، الذي كان يبكي ما أكثر بكاءه، بل كان يبكي علينا رسول الله، يبكي علينا لأنه يعلم أن ذنوبنا كثيرة؛ جاء في صحيح مسلم من حديث بن عبد الله بن عمر "أن النبي صلىٰ الله عليه وآله وسلم بكىٰ، بكىٰ واشتد بكاؤه متىٰ؟ قرأ قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام:﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (إبراهيم:٣٦) وقرأ قول عيسىٰ عليه الصلاة والسلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٨) الرسول أخذته

الشفقة والرحمة علينا ، فبكىٰ بكاءً شديدا، فأرسل الله جبريل، قال: يا جبريل سل محمد ما يبكيك وربك أعلم به منك، فقال جبريل: ما يبكيك يا محمد؟ قال: "أمتي، أمتي ... أبكي علىٰ أمتي، أبكي خوفا علىٰ أمتي من جهنم من العذاب! الرسول يبكي علينا ونحن لا نبكي علىٰ أنفسنا.

أمة محمد؛ كونوا علىٰ حذر من الذنوب والمعاصي، جد واجتهد واعرف الحق أين الحق من أجل أن تعمل به، اعرف الأعمال الصالحة من أجل أن تعمل بها، واحذر من البدع لأنها موصلة إلىٰ النار، واحذر من المعاصي لأنها موصلة إلىٰ النار.

أسأل الله أن ينجيني وإياكم من عذابه وأن يدخلني و إياكم جنته،

نسأل الله أن ينجينا من النار وأن يرزقنا الأعمال الصالحة المتقبلة،

إنـــــه أرحـــــم الراحـــــمين..

(1) رواه البخاري عن حفص بن عَمْرو ومسلم عن عُبَيْدِ الله بن مُعَاذ، عَنْ أبيه، كلاهما عن شعبة

(2) حديث مرفوع في مسند أحمد بن حنبل، رقم الحديث: 10499

(3) رواه البخاري في صحيحه/ 6587، الألباني في ضعيف الترغيب / 2107 وقال عنه حديث منكر وفي السلسلة الضعيفة/ 6945 قال عنه شاذ وصححه في صحيح الجامع/ 2867، وكلاهما عن أبو هريرة

(4) رواه الطبراني في الكبير، وصححه الألباني في صحيح الترغيب .

(5) رواه النسائي في سننه (3/ 188 ـ 189) ورواه الإمام مسلم في صحيحه (2/ 592) بدون ذكر:"وكل ضلالة في النار"

(6) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، ص: 319

(7) حديث مرفوع: في المعجم الكبير للطبراني/ 10282، وفي جامع الترمذي/ 2514 وفي الضعفاء الكبير للعقيلي/ 1506

(8) رواه البخاري / 3348 ومسلم / 222 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ : يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ ، فَيَقُولُ : أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ . قَالَ : وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَىٰ النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَأَيُّنَا ذَلِكَ الْوَاحِدُ ؟ قَالَ : أَبْشِرُوا ، فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلا ، وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا . ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا . فَقَالَ : أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا. فَقَالَ : أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا . فَقَالَ : مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ).

(9) أخرجه الطبراني، في المعجم الكبير والأوسط، من حديث بريدة عن النبي صلىٰ الله عليه و آله وسلم قال : "إن الحجر ليزن سبع خلفات يرمىٰ به في جهنم فيهوىٰ سبعين خريفا وما يبلغ قعرها"

(10) رواه مسلم والبخاري في الصحيحين من حديث الشفاعة

(11) رواه الإمام أحمد في مسنده

(12) رواه عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي عن المنذري في الترغيب والترهيب 4/ 347 وأخرجه أحمد 4/ 191 من طريق ابن لهيعة

(13) رواه البيهقي في الدلائل من حديث أنس، والطبراني في الأوسط، وابن أبي عاصم في السنة، ورمز السيوطي له بالصحة في الجامع الصغير/ 8172، وحسنه الألباني في تخريج كتاب السنة/ 621

(14) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد: 10/ 388 من حديث أنس، والألباني في صحيح الترغيب: 4/ 336 وفي السلسلة الصحيحة/ 2511

(15) رواه الترمذي في سننه من حديث أبو ذر الغفاري/ 2312، وقال عنه حسن غريب

(16) أخرجه الألباني في صحيح النسائي/ 1612 وصحيح الترمذي/ 438 ومسلم في صحيحه / 1163، من حديث أبو هريرة

(17) رواه الترمذي في تهذيب التهذيب:5/ 81، والبيهقي في السنن الكبرىٰ: 4/ 297، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير/ 3868